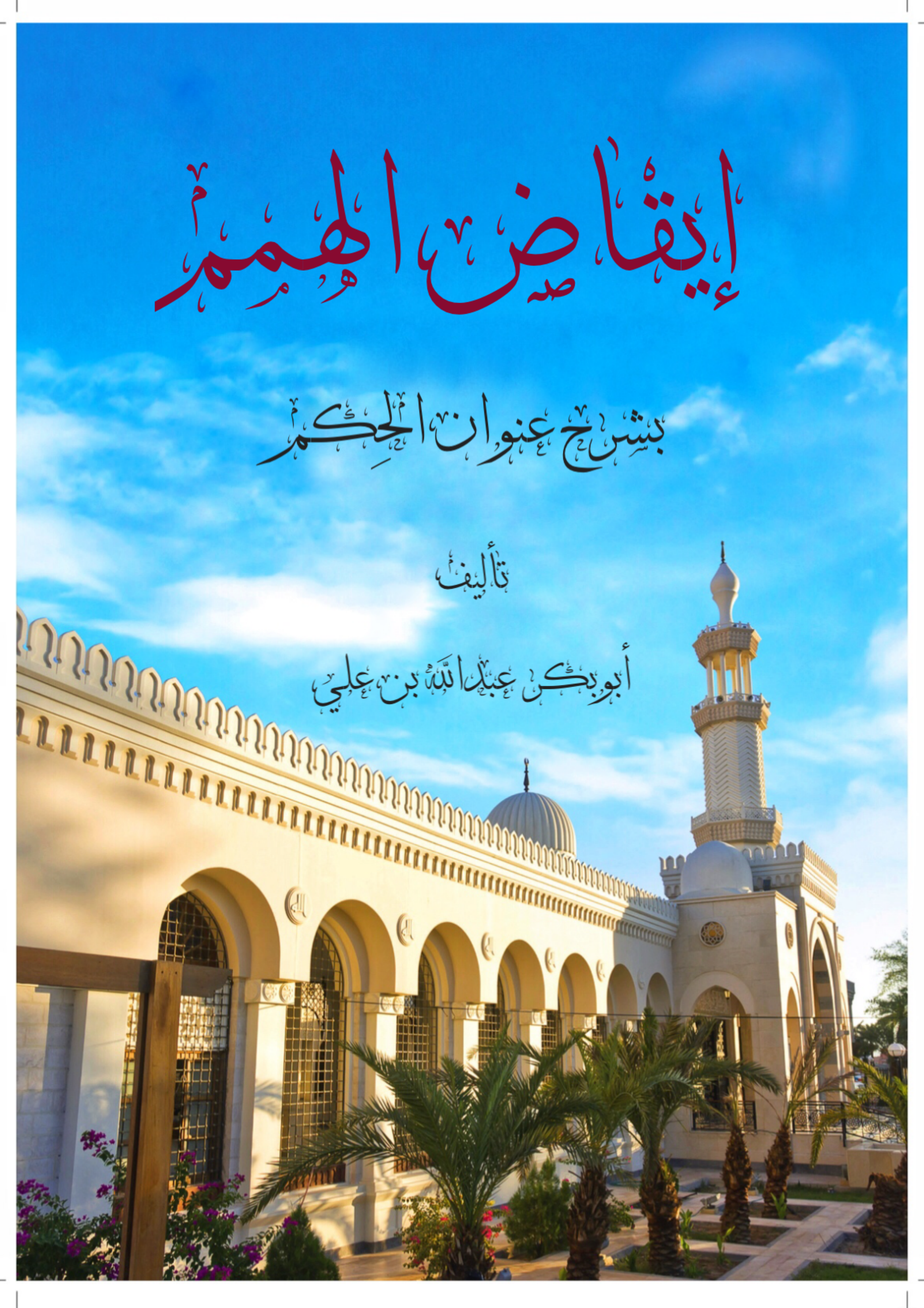

إيقاظ الهمم
بشرح عنوان الحكم
تأليف
أبو بكر عبد الله بن علي

إِيقاض الهمم

بشرح

عنوان الحِكم

تأليف: أبو بكر عبد الله بن علي

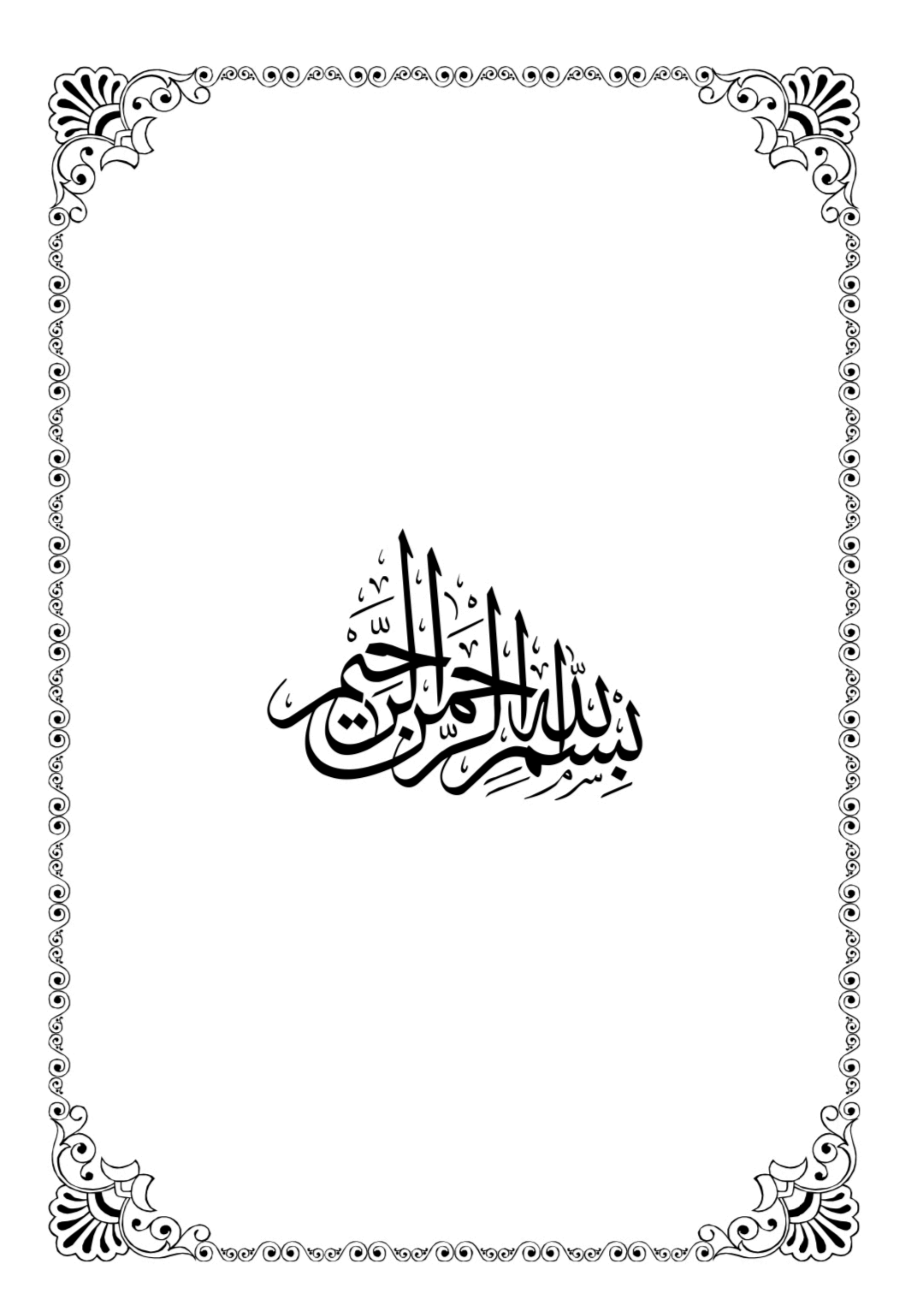


قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

" إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ،

وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ،

أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " .


بسم الله الرحمن الرحيم



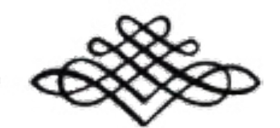
السيرة الذاتية

أبو الفتح البستي:

علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البُسْتي، ويلقّب بأَبُي الفَتح، وقد ولد عام 330هـ، في بلدة بست، وهي تقع قرب سجستان في بلاد الأفغان، علماً أنه ينحدر من أصولٍ عربية، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّه من شعراء القرن الرابع الهجري، وقد ابتدأ مسيرته كمعلّم للصبيان في بلدته، ثم عمل كاتباً في بلاط الدولة الغزنوية، ثم ارتحل إلى بخارى، حيث توفي فيها عام 400 هـ، وفي هذا المقال سنعرفكم عليه أكثر.

علم أبو الفتح البستي:

تتلمذ أبو الفتح البستي على يد أبي حاتم محمد بن حبان، وهو من أفضل شعراء عصره علماً، وكتابةً، وشعراً، وقد كان كاتباً مجيداً حيث كان يختار ألفاظه بعنايةٍ فائقة سواء أكانت في الشعر أم في النثر، حتى عرف عنه بأنّ له طريقة خاصة في التجنيس، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّه من كتاب الدولة السامانية في خرسان، وقد ارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين، علماً أنّ ابنه خدم سلطان الدولة محمود بن سبكتكين.



منصب أبو الفتح البستي:

اشتغل أبو الفتح البستي وزيراً لإمارة بست، وهي عبارة عن إمارة صغيرة تابعة لولاية سجستان، فقد كان سياسيّاً ماهراً حيث ظهرت مواهبه عندما افتتح والي غزنة الأمير ناصر الدين سبكتكين هذه الإمارة، حيث أسند إليه منصب رئيس الديوان، ولا بدّ من الإشارة إلى أن هذا المنصب يقابل منصب سكرتير الدولة في الدول الأوروبية، أو منصب رئيس الوزراء في الدول الشرقية، ومن الجدير بالذكر أنّه حقّق لهذه الإمارة العديد من الانتصارات، كما فتح الحصون والإمارات، علماً أنّه استفاد من خبرته الأدبية وبراعته، فراح يعرّف بعظمتها، كما وثّق العلاقات بينها وبين الولايات المجاورة لها، وقد نجح في ذلك.

آثار أبو الفتح البستي:

ترك أبو الفتح البستي ديواناً شعرياً واحداً، احتوى على بعض أشعاره، علماً أنّ له أدبٌ كثيرٌ غير مدوّن، كما أن له كتاب اسمه شرح مختصر الجويني وهو في الفقه الشافعي، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ أكثر ما اشتهر به هي قصيدته المعروفة باسم عنوان الحِكَم، أو نونية البستي، وهي قصيدة عُني بها أهل الأدب، وجميع من له ذوقٌ فيه، مع الأخذ



بالاعتبار أن هناك عدد كبير من الأدباء والعلماء اعتنوا بهذه القصيدة منهم:

أبو منصور الثعالبي، حيث شرحها في كتابه «نثر النظم وحل العقد». بدر الدين الجاجرمي، حيث ترجمها إلى الفارسية. عبد الرحمن العمري الميلاني شرحها. محمود بن عثمان النجاتي شرحها. عبد الله بن محمد بن أحمد النقره كار شرحها. الحسن بن محمد البوريني شرحها. عبد القادر بن العيدروس، حيث شرح بعض أبياتها. المعاصر محمد سعدي جوكنلي حيث ترجمها نثراً إلى التركية، علماً بعدم وجود أي ترجمة للقصيدة غير هذه الترجمة.



الشرح

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد قال الإمام البستي رحمه الله:

زِيَادَة الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَان ... وَربحه غير مَحْض الْخَيْر خسران

ــــــــــــــــــــــــــــــــــ

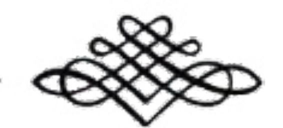
وذلك لأن الدنيا زائلة زائل نعيمها فمهما بلغ ملك العبد في الدنيا من الزيادة فهو نقص لكونه يشغل العبد عن المطلب الأسنى وهو التوجه لله بالذل والإفتقار والزيادة هنا تشمل جميع ما يتمناه العبد من مال ورئاسة ووجاهة وشهرة وغيرها والدنيا كانت ولا زالت بحراً للفتن غرق فيه كثيرون ممن غرتهم بملذاتها وغمرتهم بشهواتها، قال صلى الله عليه وسلم (فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ)[١]

وينسب الى سيدنا علي رضي الله عنه قوله:

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت *** ان السعادة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكـــنها *** الا التي كان قبل الموت يبنيها
اموالنا لذوي الميراث نجمعها *** ودورنـــا لخراب الدهر نبنيها

---

[١] رواه البخاري



أين الملوك التي كانت مسلطنة *** حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
فكم مدائن في الافاق قد بنيت *** أمست خرابا وأفنى الموت اهليها
لا تركنن الى الدنيا وما فيها *** فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
المرء يبسطها والدهر يقبضها *** والنفس تنشرهاوالموت يطويها

وإذا لم يكن ربح العبد خيراً فلا خير فيه وهي تجارة كاسدة وإن كانت في الظاهر غير ذلك ومن كان الخير ربحه فقد حاز خير الدنيا والآخرة وحصلت له السعادة فيهما وإن كان ظاهره في الدنيا يناقض السعادة كالفقر والحاجة ولكنه بلا شك قلبه يتقلب في رياض السعادة والإطمئنان لقضاء الرحيم المنان أما في الأخرة فله النعيم الذي لا ينفد .

وكل وجدان حَظّ لاثبات لَهُ ... فَإِن مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيق فقدان

— — — — — — — — — —

فكل حظ ونصيب يحصله العبد في الدنيا من غير طريقه الشرعي ،فهو في الحقيقة عدم ومفقود لأن الإعتبار بالباقي وهو الأخرة اما الدنيا فلا عبرة لها لذاتها. قال الله تعالى ﴿وَيَومَ يُعرَضُ الَّذينَ كَفَروا عَلَى النّارِ أَذهَبتُم طَيِّباتِكُم في حَياتِكُمُ الدُّنيا وَاستَمتَعتُم بِها فَاليَومَ تُجزَونَ عَذابَ الهونِ بِما كُنتُم تَستَكبِرونَ فِي الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ وَبِما كُنتُم تَفسُقونَ﴾[٢]

٢ الأحقاف: ٢٠



وقال صلى الله عليه وسلم (إنَّ الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكرَ اللهِ وما والاه وعالمًا أو متعلمًا)[٣].

يَا عَامِرًا لخراب الدَّار مُجْتَهدا ... بِاللهَّ هَل لخراب الْعُمر عمرَان

ـــــــــــــــــــــــــ

الإنسان دائماً يحب ويسعى لتحسين معيشته من جمع الأموال وبناء المساكن الفارهة والمراكب وغيرها لكنه لا يدري انه يوماً ما سيترك هذا كله والمصيبة الأعظم أنه يحاسب عليه كله قال صلى الله عليه وسلم : «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟».[٤] وهذا في الحقيقة مضيعة للوقت وخراب للعمر فعجباً هل لخراب العمر عمران فاللحظة التي تعيشها وتمضي لو انفقت ملئ الأرض ذهباً لن تعود إليك والعمر أيام ولحظات كلما ذهبت ذهب من عمرك معها شيء.

---

٣ رواه الترمذي وابن ماجة والدارمي بسند حسن

٤ رواه الترمذي في سننه



وَيَا حَرِيصًا على الْأَمْوَال تجمعها ... أنسيت أَن سرُور المَال أحزان

_ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _

قال صلى الله عليه وسلم (لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ، لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ)[٥]

قال ابن القيم : فأين عقل من آثر لذة عاجلة منغصة منكدة , إنما هي كأضغاث أحلام , أو كطيف تمتع به من زاره في المنام , على لذة هي من أعظم اللذات , وفرحة ومسرة هي من أعظم المسرات , دائمة لا تزول ولا تفنى ولا تنقطع , فباعها بهذه اللذة الفانية المضمحلة التي حُشيت بالآلام , وإنما حصلت بالآلام , وعاقبتها الآلام ؟ فلو قايس بين لذتها وألمها ومضرتها ومنفعتها , لاستحيا من نفسه وعقله , كيف يسعى في طلبها ويضيع زمانه في اشتغاله بها فضلاً عن إيثارها على "ما عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر "[٦]

وقال أَبُن حبان رَضِيَ اللَّهُ عنه :الحرص علامة الفقر كما أن البخل جلباب المسكنة والبخل لقاح الحرص كما أن الحمية لقاح الجهل والمنع

[٥] رواه البخاري ومسلم

[٦] رسالة ابن القيم إلى احد اخوانه



أخو الحرص كما أن الأنفة توأم السفه وأنشدني عمر بْن مُحَمَّد قَالَ أنشدني الغلابي:

لا تأتين نذالة لمنالة ... فليأتينك رزقك المقدور
واعلم بأنك آخذ كل الذي ... لك في الكتاب محبر مسطور
والله ما زاد امرءا في رزقه ... حرص ولا أزرى به التقصير ..[٧]

وكل سرور في الدنيا لم يكن في طاعة الله فهو في الأخرة نقمة على صاحبه أما غير ذلك فهو ظل زائل ولا تكاد تجد غني في العالم الإما شاء الله صافي الذهن مستريح البال كونه في تفكير دائم ما ذا سيفعل بهذا المال؟ اين سينفقه؟ كم سيبقى منه؟ مما يجعل سروره ينقلب احزان.

زع الْفُؤَاد عَن الدُّنْيَا وَزينتهَا ... فصفوها كدر والوصل هجران

———————————

زع الفؤاد، بالزاي، فعل أمر من وزعه عن الأمر كفه عنه، أي كف القلب عن حب الدنيا وزخارفها لأنها فانية زائلة وحقيرة وقد سميت "دنيا" لدنائتها وكذلك لكونها غرارة غدارة قال تعالى ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَينَيكَ إِلى ما مَتَّعنا بِهِ أَزواجًا مِنهُم زَهرَةَ الحَياةِ الدُّنيا لِنَفتِنَهُم فيهِ وَرِزقُ رَبِّكَ خَيرٌ

[٧] روضة العقلاء



وَأَبقى﴾[8] وقال تعالى :(اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبُ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرُ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ) عن أبي هريرة قال، قال النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: " مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَما فيها ".[9] وأي فتنتة اعظم من فتنة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم (فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ)[10] فما صفو الدنيا لك بملذاتها وشهواتها إلا كدر وضيق وما وصلها الإ هجران وقطيعة لأن الدنيا والأخرة ضرتان فإن وصلت احداهن لابد ان تقطع الأخرى فاختر ايهن تصل.

وأرع سَمعك أَمْثَالًا أفصلها ... كَمَا يفصل ياقوت ومرجان

ـــــــــــــــــــــــ

اي انتبه وتفكر في ما سأذكره وأفصله لك.

---

[8] طه: ١٣١

[9] تفسير الطبري سورة الحديد ١٧

[10] رواه البخاري

أحسن إلَى النَّاس تستعبد قُلُوبهم ... فطالما استعبد الْإِنْسَان إحْسَان

ـــــــــــــــــــــــــــ

وهذا يشمل كل معاني الإحسان فأحسن إليهم بمالك وجاهك وعلمك وعملك وكل ما تستطيع ولو كان في نظرك قليل قال تعالى ﴿إِنْ أَحسَنتُم أَحسَنتُم لِأَنفُسِكُم﴾[11] فأنت في الحقيقة تعمل لنفسك كونك تقدم لها ما ينجيها يوم القيامة ويزيد رفعتها في الدنيا. ولا تنظر إلى ما يقابلك به الناس مقابل احسانك إليهم قال صلى الله عليه وسلم (لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً ؛ تَقُولُونَ : إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ ؛ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ؛ ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ ؛ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ ؛ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا ؛ فَلَا تَظْلِمُوا)[12].

وقال ابن القيِّم: "مفتاح حصول الرَّحمة الإحْسَان في عبادة الخالق، والسَّعي في نفع عبيده"[13]

فأن أنت فعلت هذا استعبدت قلوبهم اي جعلتهم يكنون لك كل التقدير والإحترام والمحبة وأي شي اعظم من أن تكون مقبولاً عند الله وعند خلقه.

والمقصود بقوله "فطالما استعبد الْإِنْسَان إحْسَان" اي صاحب الإحسان

[11] الإسراء :٧

[12] رواه الترمذي

[13] حادي الارواح



وهو المحسن لطالما استعبد قلوب الناس اي صارت مطيعة له محبة لا ترفض له طلباً ولا تعصي له أمراً لما له من فضل عليها.

يَا خَادِمِ الْجِسْمِ كم تشقى بخدمته ... أتطلب الرِّبْح فِيمَا فِيهِ خسران

— — — — — — — — — — — — —

الإنسان له ظاهر وباطن "جسم وهو الظاهر ونفس وهي الباطن" فتراه مع الأسف ينفق ماله ويهدر وقته بخدمة ما شأنه الهلاك والعدم ويغفل عما شأنه الخلود وهي النفس ولو اهتم الإنسان بنفسه تربيتاً وسلوكاً لاستقام له جسمه لأن الجسم تابع والنفس متبوع فإذا صلح المتبوع اصلح اتباعه، لذلك جعل الله تبارك وتعالى التكليف على النفس لا على الجسم قال تعالى ﴿وَنَفسٍ وَما سَوّاها﴾﴿فَأَلهَمَها فُجورَها وَتَقواها﴾ ثم قال جل وعلا﴿قَد أَفلَحَ مَن زَكّاها﴾اي من زينها وطهرها بمحاسن الأخلاق وطيب الأقوال والأفعال. ثم قال﴿وَقَد خابَ مَن دَسّاها﴾[١٤] اي من دنسها بالمعاصي والفجور والأخلاق الرديئة. فالأصل هي النفس فاهتموا بها فهي معيار التفاظل بينكم قال صلى الله عليه وسلم (إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا)[١٥] ولم يقل احاسنكم خِلقة ومظهراً فافهم. ولا يُفهم مما

[١٤] الشمس٧. ٨. ٩. ١٠

[١٥] رواه البخاري



ذكرت ان يهمل الظاهر وهو الجسم بل يجب الموازنة بينه وبين الباطن والذي ذمه المصنف رحمه الله هو الإنشغال بالجسم عن النفس.
فإذا ثبت ان الجسم شأنه العدم وأن الأنسان مهما اهتم بظاهره لا بد يوماً من الأيام أن يخسره فيا عجباً ايطلب الربح من شيء شأنه الضياع والعدم؟ لذلك قال: أتطلب الرِّبْح فِيمَا فِيهِ خسران

أقبل على النَّفس واستكمل فضائلها ... فَأَنت بِالنَّفسِ لَا بالجسم إنْسَان

ـــــــــــــــــــــــــــــ

اقبل على نفسك بكل ما عندك من قوة وتوكل على الله واستكمل فضائلها قال السري السقطي رحمه الله:(إن في النفس لشغلاً ان الناس)[١٦]وهنا لابد من أمرين لا ثالث لهما وهما " تخلية وتحلية " أما الأول وهو التخلية: اي تطهيرها من مساوئها وادناسها وما ران عليها من أثار الذنوب والمعاصي وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما بعث رحمة للعالمين فكان أول أمره أن اشرق على اصحابة بنور إيمانه وتوكله فصطعت انواره في نفوسهم لتزيل تلك الظلمة التي خيمت عليهم وذلك بتزكيتهم وتربيتهم قال تعالى ﴿لَقَد مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤمِنينَ إذ بَعَثَ فيهِم رَسولًا مِن أَنفُسِهِم يَتلو عَلَيهِم آياتِهِ وَيُزَكّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكمَةَ وَإِن

[١٦] حلية الأولياء لأبي نعيم



كانوا مِن قَبلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ﴾[١٧] وهذه الإية تظمن الأمرين معاً تخلية وتحلية. فانظر كيف بدأ بقوله يزكيهم اي يمهد في نفوسهم محل ليستقر به علم الكتاب والحكمة وهو التحلية. وبعد هذا يأتي دور التحلية وهي شحن النفوس بالمعارف والأخلاق الحسنة والأقوال والأفعال الطيبة لذلك أمرهم بالصلاة والزكاة وغيرها من الأحكام بعد أن مهد لتلك الأحكام محلاً لها. فإذا حصل كل هذا من تخلية وتحليه اصبح حقاً أن يقال هذا إنسان يحمل معاني الإنسانية وهذا معنى قوله" فَأَنت بِالنَّفسِ لَا بالجسم إنْسَان".

وَإن أَسَاءَ مسيء فَلْيَكُن لَك فِي ... عرُوض زلته صفح وغفران

وإن أساء أحد في حقك بأي نوع من انواع الإساءة بكلام او فعل او مكر فليكن ما تقابله به هو الصفح والغفران لكن لو اردت ان تأخذ حقك منه فلا حرج والعفو اولى قال الله تعالى﴿وَإن عاقَبتُم فَعاقِبوا بِمِثلِ ما عوقِبتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرتُم لَهُوَ خَيرٌ لِلصّابِرينَ﴾[١٨] ونحن بلا شك لسنا معصومين مما وقع به غيرنا فلنعفوا عنهم حتى يكون لنا من عفو الله نصيب قال الله

---

[١٧] آل عمران: ١٦٤

[١٨] النحل:١٢٦



تـعـالـى ﴿ وَلـيَعفوا وَلـيَصفَحوا أَلا تُـحِبّونَ أَن يَـغفِرَ اللَّهُ لَـكُم وَاللَّهُ غَـفورٌ رَحيمٌ﴾[19] وقال تعالى﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثلُها فَمَن عَفا وَأَصلَحَ فَأَجرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّـهُ لا يُحِبُّ الظّالِمينَ﴾[20] فما بالك بمن اجره على الله؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول(إذا وقف العباد للحساب ينادي منادٍ ليَقُمْ من أجره على الله؛ فليدخل الجنة، ثم نادى الثانية، ليقم من أجره على الله، قالوا: ومن ذا الذي أجره على الله؟ قال: العافون عن الناس، فقام كذا وكذا ألفاً، فدخلوا الجنة بغير حساب)[21]وقال صلى الله عليه وسلم (ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ ". قَالَ : " مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ)[22] فانظر رعاك الله.

---

[19] النور: ٢٢

[20] الشورى: ٤٠

[21] أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان

[22] رواه الترمذي في سننه

وَكن على الدَّهْر معوانا لذى أمل ... يَرْجُو نداك فَإِن الْحر معوان

ـــــــــــــــــــــــــــــ

وكن يا إنسان على نوائب الدهر ومصاعب الزمان كثير العون والمساعدة لعامة الناس لقوله تعالى﴿ وَتَعاوَنوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقوى وَلا تَعاوَنوا عَلَى الإِثمِ وَالعُدوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَديدُ العِقابِ﴾[23] وخاصتهم من اهلك وأقربائك الذين يرجون عونك وهم اولى بالعون فعن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها : (ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله - تعني خدمة أهله- فإذاو حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة)[24] وقال صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة.)[25] وهذه من صفات الأحرار ذوي الشمائل المحمدية والصفات الزكية.

---

[23] المائدة: ٢

[24] البخاري

[25] رواه البخاري ومسلم

وَاشْدُدْ يَدَيك بِحَبل الله معتصما ... فَإِنَّهُ الرُّكْن إن خانتك أَرْكَان

ـــــــــــــــــــــــــ

اي تمسك بحبل الله لقوله تعالى ﴿وَاعتَصِموا بِحَبلِ اللَّهِ جَميعًا﴾[٢٦]وحبل الله القران الكريم كما ذكر ابن كثير وذلك لأنه لا يسلمك الا إلى خير لقوله تعالى ﴿إِنَّ هذَا القُرآنَ يَهدي لِلَّتي هِيَ أَقوَمُ﴾[٢٧] فهو الركن المتين والصراط المستقيم اذا ما خانت بك اركان الحياة وقد حث صلوات الله عليه على التمسك به فقال في ما رواه علي رضي الله عنه :((ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ [الجن: 1-2]، من

[٢٦] آل عمران: ١٠٣

[٢٧] الإسراء: ٩



قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم))[٢٨].

من يتق الله يحمد فِي عواقبه ... ويكفه شَرّ من عزوا وَمن هانوا

ــــــــــــــــــــــــــــ

والتقوى هـي "ان لا يجدك مولاك حيث نـهاك ولا يفقدك حيث أمرك" فمن كان هذا حاله فأن عاقبته إلى خير ويكون من أولياء الرحمن لقوله تعالى (ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هـم يحـزنون) ، من هـم يا ربّ؟ قال: (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)[٢٩] ولتفوز بجنة تجري من تحتها الأنـهار قال تعالى ﴿لكِنِ الَّذينَ اتَّقَوا رَبَّهُم لَهُم جَنّاتٌ تَجري مِن تَحتِهَا الأَنهارُ خالِدينَ فيها نُزُلًا مِن عِندِ اللَّهِ وَما عِندَ اللَّهِ خَيرٌ لِلأَبرارِ﴾[٣٠]

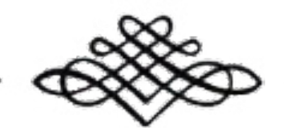
وكان علي بن أبي طالب"رضي الله عنه" إذا بعث سرية ولى أمرها رجلاً فقال: «أوصيك بتقوى الله الذي لابد لك من لقائه»[٣١]

[٢٨] رواه الترمذي في سننه

[٢٩] يونس :٦٢و ٦٣

[٣٠] آل عمران: ١٩٨

[٣١] السنة للخلال



وتكفى شر الأشرار وكيد الفجار لقوله تعالى ﴿وَأَنجَينَا الَّذينَ آمَنوا وَكانوا يَتَّقونَ﴾[٣٢] فهي نجاة مما يضرك.

من اسْتَعَانَ بِغَيْر الله فِي طلب ... فَإِن ناصره عجز وخذلان

ـــــــــــــــــــــ

والإستعانة طلب العون والذي يُطلَبُ منه العون لا بد ان يتوفر فيه اشياء منها أن يكون كريماً غير بخيل غنياً غير فقير خزائنه لا تنفد لكي يستطيع ان يعطي من سأله وكذلك أن يكون قوياً قادراً غير ضعيف ولا عاجزاً عن إيصال المعونة لمن يطلبها في أي زمان ومكان ولا يستطيع احد ان يرد عطائه وغيرها. ولا يتصف بهذه الصفات إلا ربُ الأرباب ومسبب الأسباب فهو كريم سبحانه ﴿يا أَيُّهَا الإِنسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَريمِ﴾[٣٣] يعطي من غير إمساك وهو غنيٌ ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ أَنتُمُ الفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَميدُ﴾[٣٤] لا ينفد ملكه فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ : (يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا تَظَالَمُوا .

---

[٣٢] النمل: ٥٣

[٣٣] الانفطار: ٦

[٣٤] فاطر: ١٥



يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ". قَالَ سَعِيدٌ : كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ.)[٣٥] وهو سبحانه قوي قادر على معونة خلقه لا يرد عطائه أحد ﴿ما يَفتَحِ اللهُ لِلنّاسِ مِن رَحمَةٍ فَلا مُمسِكَ لَها وَما يُمسِك

[٣٥] رواه مسلم



فَلا مُرسِلَ لَهُ مِن بَعدِهِ وَهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ﴾[36] فإذا عرفت هذا ثبت عندك ان الإستعانة بغير القوي القادر العزيز ضعف وعجز وذلة.

فبعد هذا هل يستحق من هو دون الله ان يُسأَل؟

من كَانَ للخير مناعا فَلَيْسَ لَهُ ... على الْحَقِيقَة إِخْوَان وأخدان

ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ

الإنسان بطبيعته يحب من يريد به الخير والنفع لذلك ترى المحبوب عند الناس ذلك الذي طالت يده بالخير عليهم وعمهم بلطفه ومحبته قال صلى الله عليه وسلم (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ)[37] فكيف بفاعله. ؟ والعكس عندما يكون الإنسان مناعاً للخير عن اخوانه فإنه يكون محط بغضهم ومحل ازدرائهم فتجد الناس تنفر عنه وليس له من " اخدان " اي اصحاب بل قد يكون له أعداء فإياك أن يخالطك هذا الخلق الذميم فقد ذم الله صاحبه بقوله تعالى(وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا) يقول: وإذا كثر ماله، ونال الغنى فهو منوع لما في يده، بخيل به، لا ينفقه في طاعة الله، ولا يؤدّي حق الله منه.[38]

[36] فاطر: ٢

[37] رواه مسلم وغيره

[38] تفسير الطبري

من جاد بِالْمَالِ مَال النَّاس قاطبة ... إلَيْهِ وَالْمَال لِلإنْسَان فتان

ـــــــــــــــــــــــــ

من جاد على الناس بماله مال إليه الناس بقلوبهم ومحبتهم ومودتهم واحترامهم له فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ "[٣٩]. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: "أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً، أو تقضي له ديناً، أو تطعمه خبزاً".[٤٠]

والمال فتان لمن ليس له حكمة ودين وعلم فكم اودى بأناس إلى وديان الغواية ومواطن الفتن فعن أبي هريرة رضي الله أن النبي صلى عليه وسلم قال: "تعس عبد الدينار، والدرهم، والقطيفة، والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض"[٤١]. وعن النبي صلى عليه وسلم أنه قال:

[٣٩] رواه ابن ماجة في سننه

[٤٠] رواه الطبراني

[٤١] رواه البخاري



"اثنتان يكرههما ابن آدم: الموت، والموت خير للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقل للحساب". [٤٢]

قال الشاعر:

النفس تجــزع أن تكـــون فقـيـرة
والفقر خير من غـنـى يطـغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت
فجميع ما في الأرض لا يكفيها

من سَالم النَّاس يسلم من غوائلهم ... وعاش وَهُوَ قرير الْعين جذلان

— — — — — — — — — —

فإن كنت قد كففت عن إخوتك يد الخير والمساعدة فكفُّ يد الشر عنهم من باب أولى حتى تسلم من شرورهم ومساوئهم حينئذ تعش وانت مسروراً فرحاً قد نلت من السعادة مغنماً فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : " رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ". قَالُوا : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : " ثُمَّ مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ" [٤٣] وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

[٤٢] رواه أحمد في مسنده

[٤٣] رواه مسلم



الْمُبَارَكِ ، أَنَّهُ وَصَفَ حُسْنَ الْخُلُقِ، فَقَالَ : هُوَ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى.[٤٤] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ".[٤٥]

من كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَان عَلَيْهِ غَدا ... وَمَا على نَفسه للحرص سُلْطَان

يعني من جعل عقله ميزاناً يزن به الأمور والمسائل عرف كم هي الدنيا لا تساوي جناح بعوضه وأنه مهما جمع من حطامها لابد ان يفارقه، فعَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبَّادٍ الْخَوَّاصِ الشَّامِيِّ أَبِي عُتْبَةَ قَالَ : "أَمَّا بَعْدُ، اعْقِلُوا وَالْعَقْلُ نِعْمَةٌ، فَرُبَّ ذِي عَقْلٍ قَدْ شَغَلَ قَلْبَهُ بِالتَّعَمُّقِ فِيمَا هُوَ عَلَيْهِ ضَرَرٌ عَنْ الِانْتِفَاعِ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، حَتَّى صَارَ عَنْ ذَلِكَ سَاهِيًا ، وَمِنْ فَضْلِ عَقْلِ الْمَرْءِ تَرْكُ النَّظَرِ فِيمَا لَا نَظَرَ فِيهِ، حَتَّى لَا يَكُونَ فَضْلُ عَقْلِهِ وَبَالًا عَلَيْهِ فِي تَرْكِ مُنَافَسَةِ مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ"[٤٦] . فإذا كان العبد يزن

---

[٤٤] رواه الترمذي في سننه

[٤٥] رواه النسائي وأحمد

[٤٦] رواه الدارمي في سننه



الأمور في موازين عقلية صحيحة لا يخشى عليه وليس للحرص والطمع هليه سلطان .

من مد طرفا لفرط الْجَهْل نَحْو هدى ... أغضى على الْحق يَوْمًا وَهُوَ خزيان

_ _ _ _ _ _ _ _ _

والطرف اي العين، فمن اشبع نظره من ملذات الدنيا وشهواتها وما حرمه الله ران على قلبه ما كسب فصار أعمى عن الحق وإن كان بصيراً لأن الأصل أن القلب هو الذي يبصر والعين ليست سوى واسطة للبصر قال تعالى ﴿ فَإِنَّها لا تَعمَى الأَبصارُ وَلٰكِن تَعمَى القُلوبُ الَّتي فِي الصُّدورِ﴾[47] قال ابو الدرداء رضي الله عنه (الا رب منعم لنفسه وهو لها جدُّ مهين)[48] وقال ابن القيم رحمه الله (فضول النظر والكلام والإستماع والمخالطة والأكل والنوم هذه تستحيل آلاماً وغموماً وهموماً في القلب بل غالب عذاب الدنيا والآخرة منها)[49] فهذا المسكين لما اطلق بصره في ما لذ وطاب من شهوات الدنيا، كان الجزاء من جنس العمل فعمي قلبه عن

[47] الحج: ٤٦

[48] الزهد لأبي داود

[49] زاد المعاد



الحق، وهنا قاعدة عظيمة "كلما اتسعت العين ضاق القلب والعكس" فافهم تسلم.

من عَاشر النَّاس لَاقى مِنْهُم نصبا ... لِأَن سوسهم بغى وعدوان

ـــــــــــــــــــــــــ

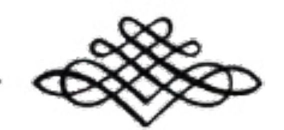
وهذا هو شأن بني آدم فيهم الصالح والطالح والتقي والبغي والذي يعاشر الناس اي يختلط معهم لابد ان يناله شيء من شرهم فلابد ان يلاقي متاعب ومصاعب فعليه ان يتوشح قوله تعالى﴿وَاصبِر عَلى ما يَقولونَ وَاهجُرهُم هَجرًا جَميلًا﴾[٥٠] وقوله على لسان لقمان ﴿يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأمُر بِالمَعروفِ وَانهَ عَنِ المُنكَرِ وَاصبِر عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِن عَزمِ الأُمورِ﴾[٥١] وقوله صلى الله عليه وسلم (الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ مُخَالِطًا لِلنَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ.)[٥٢]وذلك لأن سوسهم اي طبيعتهم هكذا وهذا ليس في جميعهم لا وإنما غالبهم. فمنهم من إن تحسن اليه مرة واحدة احسن

---

[٥٠] المزمل: ١٠

[٥١] لقمان: ١٧

[٥٢] رواه الترمذي في سننه



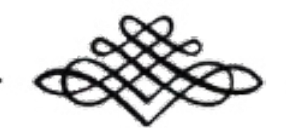
اليك الدهر كله وهم قلة قليلة ومنهم من لو احسنت اليه الدهر كله ثم رأى منك شيء يكرهه تغافل عن كل ذلك الجميل وقال ما رأيت منك خيراً قط.

وَمن يفتش عَن الإخوان يقلهم ... فجل إخْوَان هَذَا الْعَصْر خوان

— — — — — — — — — — — — —

وسبب قوله وَمن يفتش عَن الإخوان يقلهم لقلة اصحاب الخير وكثرة اصحاب السوء وهذا في زمانه فكيف بزماننا الله المستعان. والأصل ايها الإخوة والذي كان علية الأمر في القرون الماضية كعهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن تبعهم هو عموم الخير في الناس فلا يحتاج الإنسان أن يتعب نفسه بالتفتيش عن صاحب يصحبه لكثرة أهل الخير والصلاح قال صلى الله عليه وسلم (خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ". قَالَ عِمْرَانُ : لَا أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ ".)[٥٣] وأما بعد هذه القرون وإلى عهدنا هذا انقلبت الموازين فصار الشر والغدر والخيانة هي الغالبة على اكثر الناس فصار الذي يبحث عن صديق يأنس معه ويأمنه على سره كمن يبحث عن إبرة

[٥٣] رواه البخاري والنسائي



في كومة قش واصعب من ذلك فعليكم بالصاحب الصادق المؤمن لقوله صلى الله عليه وسلم (لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ)[٥٤]

من اسْتَشَارَ صروف الدَّهْرِ قَامَ لَهُ ... على حَقِيقَةِ طبع الدَّهْرِ برهَانِ

— — — — — — — — — —

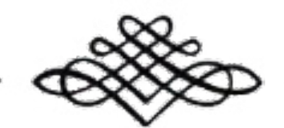
من استشار اي استكشف وتفحص صروف الدهر اي حوادثه ونوائبه وتقلباته صار على بينة من حال الدهر وحقيقته عن ابن عباس قال: يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء أنيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلائق فيقال تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تناحرتم عليها بها تقاطعتم وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف فى جهنم فتنادى أى رب أين أتباعى وأشياعى فيقول الله ألحقوا بها أتباعها وأشياعها [٥٥]

وقيل :هِيَ الدُنيا تَقولُ بِمِلءِ فيها
حَذارِ حَذارِ مِن بَطشي وَفَتكي
وَلا يَغرُرُكُم حُسنُ اِبتِسامي

---

[٥٤] رواه أبو داود والترمذي والدارمي وأحمد

[٥٥] شعب الإيمان



فَقَولي مُضحِكُ وَالفِعلُ مُبكي [56]

من يزرع الشَّرّ يحصد فِي عواقبه ... ندامة ولحصد الزَّرْع إبان

ـــــــــــــــــــــ

ولا يزرع الشر إلا من نبت الحمق في عقله وذلك لأنه يسعى في إهلاك نفسه وجعلها عرضة للأذى ولا أعتقد أن عاقل يريد بنفسه الأذى. قال الله تعالى ﴿إِن أَحسَنتُم أَحسَنتُم لِأَنفُسِكُم وَإِن أَسَأتُم فَلَها﴾ [57] قال الطبري في تفسير هذه الآية: لأنَّكم إنما تنفعون بفعلتكم ما تفعلون من ذلك أنفسكم في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فإن الله يدفع عنكم من بغاكم سوءا، وينمي لكم أموالكم، ويزيدكم إلى قوّتكم قوّة. وأما في الآخرة فإن الله تعالى يثيبكم به جنانه (وإنْ أَسَأْتُمْ) يقول: وإن عصيتم الله وركبتم ما نهاكم عنه حينئذ، فإلى أنفسكم تسيئون، لأنكم تسخطون بذلك على أنفسكم ربكم، فيسلط عليكم في الدنيا عدوّكم، ويمكِّن منكم من بغاكم سوءا، ويخلدكم في الآخرة في العذاب المهين.انْتهى [58]

[56] أبو الفرج الببغاء

[57] الإسراء: ٧

[58] تفسير الطبري



وقال صلى الله عليه وسلم (فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَّ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)[٥٩] والحليم تكفيه الإشارة.

من استنام إِلَى الأشرار نَام وَفِي ... قَمِيصه مِنْهُم صل وثعبان

ـــــــــــــــــــــــــ

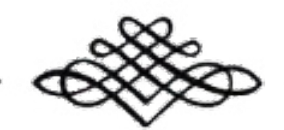
من صاحب الأشرار وركن إليهم ورضي بشرهم لابد يوماً ان يناله من شرهم ما لا يحمد عقباه لذلك قال نَام وَفِي ... قَمِيصه مِنْهُم صل وثعبان والصل : الحية التي لا تنفع فيها الرقية والعلاج، لشدة سمها القاتل. والثعبان :نوع من الحيات الطوال القاتلة.اي لأبد أن تأتيه ضربة لا يقوم بعدها ابداً قال تعالى ﴿فَأَصابَهُم سَيِّئَاتُ ما عَمِلوا وَحاقَ بِهِم ما كانوا بِهِ يَستَهزِئونَ﴾[٦٠] وقال تعالى ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمّا عَمِلوا وَما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا يَعمَلونَ﴾[٦١] وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ أَعَانَ ظَالِماً لِيُدْحِضَ بِبَاطِلِه حَقّاً فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ الله وَذِمَّةُ رَسُولِهِ)[٦٢] وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ نزلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا

[٥٩] رواه مسلم

[٦٠] النحل: ٣٤

[٦١] الأنعام: ١٣٢

[٦٢] رواه الحاكم



مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[63].

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: دلت هذه الآية على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر، لأن من لم يتجنبهم فقد رضي بفعلهم، والرضا بالكفر كفر وبالمنكر منكر؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ ﴾؛ فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء.[64]

كن ريق الْبشر إن الْحر همته ... صحيفَة وَعَلَيْهَا الْبشر عنوان

ـــــــــــــــــــ

اي كن في غالب أمرك جميل البشر ذا ثغر باسم تلقى الناس بوجه حسن قال تعالى ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا مَن يَرتَدَّ مِنكُم عَن دينِهِ فَسَوفَ يَأتِي اللَّهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُم وَيُحِبّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤمِنينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكافِرينَ يُجاهِدونَ في سَبيلِ اللَّهِ وَلا يَخافونَ لَومَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضلُ اللَّهِ يُؤتيهِ مَن يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَليمٌ﴾.[65] قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: " أذلة

[63] النساء:١٤٠

[64] تفسير القرطبي

[65] المائدة: ٥٤



على المؤمنين " ، أرقَّاء عليهم، رحماءَ بهم.[٦٦] وقال صلى الله عليه وسلم (كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ)[٦٧] اي منبسط الوجه والإنسان الحر صاحب الأخلاق العالية همه أن يكون عنوان صفيحته اي وجهه هو البشر والإبتسامة.

ورافق الرِّفْق فِي كل الْأُمُور فَلم ... ينْدَم رَفِيق وَلم يذممه إنْسَان

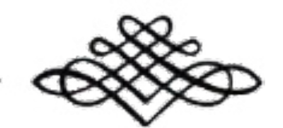
ـــــــــــــــــــــــ

واجعل الرفق هو الرفيق في كل مكان وزمان وفي أمرك كله والرفق معنى من معاني الرحمة فالأصل هو الرحمة ومن الرحمة الرفق بالناس والعطف عليهم فما نَدِم من رفق بالخلق وارضى الحق جل جلاله ولا ذَمَ هذا الخلق احد من الناس بل العكس فإن الناس ينجذبون لمن يعطف عليهم. قال صلى الله عليه وسلم (مَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ حُرِمَ الْخَيْرَ " أَوْ " مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ ".)[٦٨] وفي رواية : " لا يكون الرفق في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه " ، وفي رواية : " عليك بالرفق " ، أما العنف

[٦٦] تفسير بن كثير

[٦٧] رواه الترمذي في سننه

[٦٨] رواه مسلم



فبضم العين وفتحها وكسرها ، حكاهن القاضي وغيره ، الضم أفصح وأشهر ، وهو ضد الرفق ، وفي هذه الأحاديث فضل الرفق والحث على التخلق ، وذم العنف ، والرفق سبب كل خير ، ومعنى " يعطي على الرفق " أي : يثيب عليه ما لا يثيب على غيره . وقال القاضي : معناه : يتأتى به من الأغراض ، ويسهل من المطالب ما لا يتأتى بغيره .[69]

وَلَا يغرنك حَظّ جَرّه خرق ... فالخرق هدم ورفق الْمَرْء بُنيان

—————————————

الخَرَقُ بمعنى العنف والغلظة، ويأتي بمعنى الحمق والبلاهة. والمعنى: لايغرنك ما يجنيه الإنسان بالعنف والغلظة والطيش الذي يهذم ما بناه وأسس له . فهو بهذا كمن﴿أَسَّسَ بُنيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانهارَ بِهِ﴾[70] على عكس الرفق تماماً فإنه يبني صروح المحبة والمودة والسعادة. قال صلى الله عليه وسلم (إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ).[71]

أحسن إذا كَانَ إمْكَان ومقدرة ... فَلَنْ يَدُوم على الْإِحْسَان إمْكَان

[69] شرح صحيح مسلم للنووي كتاب:الْبِرُّ وَالصِّلَةُ وَالْآدَابُ

[70] التوبة: ١٠٩

[71] سبق تخريجه

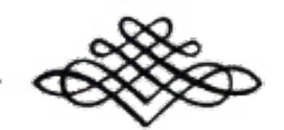


الحاصل أن الإنسان ليس بوسعه أن ينفق في كل حالاته وإن استطاع ان ينفق فإن نفقة حال عسره ليست كنفقته حال يسره فلا بد ان تمر به ايام عسرٍ وشدة، فعليه أن يغتنم اوقات يسره وغناه ويسارع في النفقة لأنه لا يأمن على هذا المال فقد يذهب منه في اي لحظة فإن دوام الحال من المحال. قال تعالى ﴿آمِنوا بِاللَّهِ وَرَسولِهِ وَأَنفِقوا مِمّا جَعَلَكُم مُستَخلَفينَ فيهِ فَالَّذينَ آمَنوا مِنكُم وَأَنفَقوا لَهُم أَجرٌ كَبيرٌ﴾[72] وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كُتِبَتْ لَهُ بِسَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ)[73] وقال ايضاً (أَفْضَلُ الدِّينَارِ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ". قَالَ أَبُو قِلَابَةَ : بَدَأَ بِالْعِيَالِ، ثُمَّ قَالَ : فَأَيُّ رَجُلٍ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَى عِيَالٍ لَهُ صِغَارٍ يُعِفُّهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَيُغْنِيهِمُ اللَّهُ بِهِ ؟.)[74] وهذا بينك وبين الخلق. أما بينك وبين الحق جل جلاله فاغتنم اوقات صفوك ونشاطك وإقبالك في طاعة الله من صلاة وصيام وقيام وذكر وغيرها فإن ما أنت عليه لن يدوم ولا بد ان تأتي عليك اوقات تفتر فيها وتبتعد عن الله تعالى

[72] الحديد: ٧

[73] رواه الترمذي

[74] رواه الترمذي



فلا تكن في الحالتين سواء. قال صلى الله عليه وسلم (اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك)[٧٥]

فالروض يَزْدَان بالأنوار فاغمة ... وَالْحر بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَان يَزْدَان

————————————

فكما أن الحدائق والرياض زينتها الأزهار والورود والروائح العطرة فكذلك الرجل زينته العدل لقوله تعالى ﴿ اعدِلوا هُوَ أَقرَبُ لِلتَّقوى﴾[٧٦] وقوله تعالى﴿إِنَّ اللهَّ يَأمُرُ بِالعَدلِ وَالإِحسانِ وَإيتاءِ ذِي القُربى وَيَنهى عَنِ الفَحشاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرونَ﴾[٧٧] وقوله صلى الله عليه وسلم(إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهَّ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ،

---

[٧٥] رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان

[٧٦] المائدة: ٨

[٧٧] النحل: ٩٠



وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ؛ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا)[٧٨] والإحسان لقوله تعالى ﴿وَأَحسِنوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحسِنينَ﴾[٧٩] وهذا يشمل جميع انواع الإحسان. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَئِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ لَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ[٨٠] ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ ظَهِيرٌ[٨١] مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ ".[٨٢]

---

[٧٨] أما قوله صلى الله عليه وسلم : (عن يمين الرحمن) فهو من أحاديث الصفات ، والذي عليه أهل السنة والجماعة أن هذا الأحاديث وامثالها كأحاديث النزول والوجه والعين وغيرها نؤمن بها ولا نرد شيء منها مع الجزم بأن الظاهر المتبادر إلى الأذهان غير مراد لله ولا يتصف الله به. فكما أن ذاته لا تشبه ذوات المخلوقين فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾ [الشورى: ١١]
وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (وكلتا يديه يمين) فتنبيه على أنه ليس المراد باليمين جارحة - تعالى الله عن ذلك - فإنها مستحيلة في حقه سبحانه وتعالى .

[٧٩] البقرة: ١٩٥

[٨٠] أي: تطعمهم الرماد الحار، وقيل: تجعل وجوههم كلون الرماد.

[٨١] أي: معين.

[٨٢] رواه أحمد في مسنده

صن حر وَجهك لَا تهتك غِلَالَتِهِ ... فَكل حر لحر الْوَجْه صوان

ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ

صن حر وجهك اي محاسنه وكرامته وقال وجهك كونه اشرف الأعضاء ولاتهتك غلالته اي لا تذهب بكرامتك وماء وجهك من أجل أمر دنيوي زائل قال صلى الله عليه وسلم (لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ)[83] ومن اسباب صيانة محاسن الوجه نشر السنة قال صلى الله عليه وسلم (نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ".)[84].

والمراد ألبسه الله النضرة وهي الحسن وخلوص اللون أي جمله وزينه وأوصله الله إلى نضرة الجنة أي نعيمها ونضارتها"[85]

قال ابن عيينة ما من أحد يطلب الحديث إلا وفي وجهه نضرة لهذا الحديث وقال القاضي أبو الطيب الطبري رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله أنت قلت نضر الله امرأ وتلوت عليه الحديث جميعه ووجهه يتهلل فقال لي نعم أنا قلته"[86]. وكذلك من اسباب

[83] رواه البخاري

[84] رواه ابن ماجة في سننه

[85] حاشية السندي على ابن ماجه

[86] المصدر السابق



صيانة محاسن الوجه وكرامته أن تقيه مواطن الذل والمهانة قال صلى الله عليه وسلم" لا يَنبغي للمُؤمنِ أن يُذلَّ نفسَه قالوا: وكيف يُذلُّ نفسَه؟ قال: يتعرَّضُ مِن البلاءِ لما لا يُطيقُ "[٨٧]. وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم" اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ منَ الفقرِ، والقلَّةِ، والذِّلَّةِ، وأعوذُ بِكَ من أن أظلِمَ، أو أُظلَمَ "[٨٨]

وكل حر عفيف لا يرضى لنفسه الرذيلة فيصن كرامته ومكانته بين الناس.

فَإِن لقِيت عدوا فألقه أبدا ... وَالْوَجْه بالبشر وَالْإِشْرَاق غضان

وهنا ينصح الشاعر المخاطَبَ في حالة لقاء العدو ان يلقاه بوجه متبسم متهلل مشرق لان الأصل هو دفع المواجهة ماأمكن فإن كان لابد فليواجه لذلك عندما ارسل النبي صلى الله عليه وسلم علي رضي الله عنه إلى خيبر امره بقوله "انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ، لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا ؛ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ ".[٨٩] وقوله: (فوالله

[٨٧] رواه الترمذي في سننه

[٨٨] رواه ابو داود

[٨٩] رواه البخاري



لأن يهدي الله بك رجلا ...) إلخ يؤخذ منه أن تألف الكافر حتى يسلم أولى من المبادرة إلى قتله. وقوله: (حمر النعم) بسكون الميم من حمر وبفتح النون والعين المهملة وهو من ألوان الإبل المحمودة.[٩٠] وهذا ما ينطوي تحت القاعدة التي تقول "درء المفاسد أولى من جلب المصالح"[٩١]

دع التكاسل فِي الْخيرَات تطلبها ... فَلَيْسَ يسْعد بالخيرات كسلان

———————————————

قال تعالى ﴿وَيُسارِعونَ فِي الخَيراتِ وَأُولئِكَ مِنَ الصّالِحينَ﴾[٩٢] فكن ذا همة وعزم في طلب الخير والبر ودع عنك الكسل فإنه لا يسلم صاحبه إلا إلى الفقر والحاجة. وقد قيل "من طلب العلا سهر الليالي"[٩٣]. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لا تُصَغِرُنَ همتكم فإني لم ارَ اقعد عن المكرمات من صغر الهمم)[٩٤] والتكاسل رعاكم الله نوعان محمود ومذموم أما التكاسل المحمود فإنما يكون في الشر والقطيعة وأعمال السوء وأما

[٩٠] فتح الباري

[٩١] القواعد الفقهية وتطبيقاتها للزحيلي

[٩٢] آل عمران: ١١٤

[٩٣] من شعر الإمام الشافعي

[٩٤] أدب الدنيا والدين



المذموم فهو التكاسل عن اعمال الخير والبر قال تعالى ﴿وَسارِعوا إلى مَغفِرَةٍ مِن رَبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرضُهَا السَّماواتُ وَالأَرضُ أُعِدَّت لِلمُتَّقينَ﴾[٩٥]. وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَالْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ .)[٩٦]

لَا ظلّ للمرء يعرى من تقى وَنهى ... وَإِن أظلته أوراق وأفنان

———————————

اي لا عزة ولا فوز ولا رفعة لمن كان عارياً عن التقوى والعقل وأن غمرته الدنيا بما فيها من المكاسب والمناصب وذلك لفقدانه التقوى والعقل. ومن كان

بغير تقوى اخذ الدنيا على هواه لا يبالي أمن حلال او حرام قال صلى الله عليه وسلم:(يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ مَا يُبَالِي الرَّجُلُ مِنْ أَيْنَ أَصَابَ الْمَالَ ؛ مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ ")[٩٧] واما من كان بغير عقل تصرف في دنياه وماله فيما لا يرضي الله فأنفقه فيما يذهب بآخرته ويفسد عليه دينه ولبه فدينار من مال يحتاج مثقال من عقل. قال الحسن البصري رحمه

[٩٥] آل عمران: ١٣٣

[٩٦] رواه أحمد في مسنده

[٩٧] رواه النسائي في سننه



الله:"لأنا للعاقل المدبر ارجى مني للأحمق المقبل"[٩٨]. وقال الإمام الشافعي رحمه الله:"العاقل من عَقَلَهُ عَقْلُهُ عن كل مذموم".[٩٩]

وَالنَّاس أعوان من والته دولته ... وهم عَلَيْهِ إذا عَادَته أعوان

ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ

والمعنى ان من والته دولته اي اقبلت عليه الدنيا بما لذ وطاب من الأموال والمساكن وسعة العيش ترى الناس يتهافتون على خدمته والتقرب منه طمعاً بما عنده لا طمعاً به لذاته والدليل قول المصنف "وهم عَلَيْهِ إذا عَادَته أعوان" وذلك عند نفاد ما عنده من مال وجاه ومنصب حينها ترى الناس لا يهتمون لأمره بل يفرون عنه فرارهم من المجذوم وذلك لأن الأمر الذي كان سبب محبتهم له قد ذهب فكانت النتيجة ذهابهم عنه لأن النتائج متعلقة بالأسباب وجوداً وعدماً. قال الإمام الشافعي رحمه الله :

رأيت الناس قد مالوا   الى من عنده مالُ
ومن لا عنده مالُ   فعنه الناس قد مالوا
رأيت الناس قد ذهبوا   إلى من عنده ذهبُ
ومن لا عنده ذهبُ   فعنه الناس قد ذهبوا

[٩٨] روضة العقلاء

[٩٩] المجموع شرح المهذب



سحبان من غير مَال بَاقِل حصر ... وباقل فِي ثراء المَال سحبان

_ _ _ _ _ _ _ _ _ _

سحبان: رجل من بني وائل، كان من أفصح فصحاء العرب وبلغائها، وبه يضرب المثل في الفصاحة والبيان.

وباقل: رجل من بني إياد، كان مشهوراً بالعيِّ والفهاهة، حتى يضرب به المثل في العجز عن الإبانة عما في النفس.

والمعنى أن الإنسان ولو كان فصيحاً بليغاً ذو لسان ينطق بالدرر والحكم فإنه في نظر الناس عاجز كعجز "باقل" إذا كان فقير الحال بسيط المظهر. والإنسان العاجز الذي لا يُنتفع به إذا كان ثرياً غنياً فهو عندهم افصح الفصحاء وأبلغ البلغاء كحال "سحبان" فالمقياس عندهم هو المال والثراء فالمال عندهم يقلب القمة قعراً. وكأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أشار إلى مثل هذا المعنى فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ ". قِيلَ : وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ ؟ قَالَ : " السَّفِيهُ



يَتَكَلَّمُ فِـي أَمْـرِ الْـعَامَّـةِ ".[100] وعن عبدالله بن عمرو انـه قـال (أَلَا إِنَّ مِـنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْأَشْرَارُ وَيُوضَعَ الْأَخْيَارُ،)[101]

لَا تودع السِّرّ وَشاء يبوح بِهِ ... فَمَا رعى غنما فِي الدو سرحان

—————————————

وهنا يوصي المصنف رحمه الله بقوله "لا تودع السر" اي لا تخبر عن سرك من كان مذياع لا يحفظ سراً ولايكتم أمراً. وليس من فقه الرجل أن يحدث الناس بما في نفسه وما تحب وما تكره وما احسن الرجل لو كان كتوماً قَالَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ : (أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرًّا ، فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَهُ، وَلَقَدْ سَأَلَتْنِي أُمُّ سُلَيْمٍ، فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ.)[102] وقال في رواية :(إِنَّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدِي سِرًّا ، لَا أُخْبِرُ بِهِ أَحَدًا أَبَدًا حَتَّى أَلْقَاهُ.)[103]وقد قيل أن الأنسان اسير سره فإذا باح به لمن لا يؤتمن عليه فكأنه صار أسيراً له يفضحه متى شاء. فأين العقل عند

---

[100] رواه أحمد في مسنده

[101] رواه الدارمي في سننه

[102] رواه البخاري

[103] رواه أحمد في مسنده



من سلم غنمه للسرحان وهو الذئب ليرعاها وكيف للذئب ان يصبر دون أن يطيش بها ليفترسها.

لَا تحسب النَّاس طبعا وَاحِدًا فَلَهم ... غرائز لست تحصيهن ألوان

ـــــــــــــــــــــــــــــ

ثم ينبه رحمه الله على أن الناس ليسوا على حال واحدة وإنما لهم احوال وأطباع وغرائز وأطوار لا تحصى فمنهم الكريم والبخيل والشجاع والجبان وسريع الغظب والحليم وفيهم من يعفو ومن لا يعفو فيجب على الإنسان أن يعامل كلُّ على حسبه وأن ينزل الناس منازلهم فليس العالم كالجاهل قال تعالى﴿ قُل هَل يَستَوِي الَّذينَ يَعلَمونَ وَالَّذينَ لا يَعلَمونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلبابِ﴾[١٠٤] ولا الطيب كالخبيث قال تعالى﴿قُل لا يَستَوِي الخَبيثُ وَالطَّيِّبُ﴾[١٠٥] ولا المنفق كالذي لا يقدم شئ قال تعالى﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبدًا مَملوكًا لا يَقدِرُ عَلى شَيءٍ وَمَن رَزَقناهُ مِنّا رِزقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنهُ سِرًّا وَجَهرًا هَل يَستَوونَ الحَمدُ لِلَّهِ بَل أَكثَرُهُم لا يَعلَمونَ﴾[١٠٦] وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينزل الناس منازلهم فعنْ

---

١٠٤ الزمر: ٩

١٠٥ المائدة: ١٠٠

١٠٦ النحل: ٧٥

عَائِشَةَ رَضِـيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ مَعَ مَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ قَوْلِ اللهَّ تَعَالَى : { وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ }[١٠٧] أي: نعامل كل أحد بما يلائم منصبه في الدين والعلم والشرف. ومراعاة مقادير الناس ومراتبهم ومناصبهم وتفضيل بعضهم على بعض في المجالس وفي القيام وغير ذلك من الحقوق.

مَا كل مَاء كصداء لَو ارده ... نعم وَلَا كل نبت فَهُوَ سَعْدَان

ــــــــــــــــــــ

صَدّاء: اسم عين ماء لم يكن عند العرب أعذب من مائها. ومن أمثالهم: ماء ولا كصداء. يضرب مثلاً للرجلين لهما فضل إلا أن أحدهما أفضل. والسعدان: اسم عشب بري، يعد من أفضل مراعي الإبل، لا تحسن الإبل على نبت حسنها عليه، إذا رعته غَزُرَ لبنها وزاد دسمه وطيبه. من أمثالهم: مرعى ولا كالسعدان. يضرب مثلاً للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله. أي هذا مرعى جيد ولكن ليس في الجودة مثل السعدان.

أي أن الناس حتى في الطيب والكرم وحسن الخلق والديانة وغيرها من اعمال البر ليسوا درجة واحدة ففيهم الطيب والأطيب والكريم والأكرم

---

[١٠٧] رواه مسلم



والجيد والأجود والغيور والأغير قال صلى الله عليه وسلم (أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي ".).[108] والصحابة رضوان الله عليهم وهم من هم كانوا على درجات فعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ. ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.[109] وعن ابْنَ عُمَرَ قَالَ : كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ : أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.[110]

لَا تخدشن بمطل وَجه عارفة ... فالبر يخدشه مطل وليان

ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ

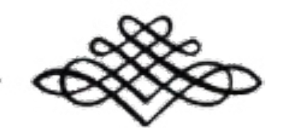
والمعنى أنه اذا اردت ان تصنع معروفاً أو عملاً من أعمال الخير فلا تخدش هذا المعروف بالتسويف والتأخير والمماطلة وإنما سارع فيه وعجل "فخير البر عاجله" قال تعالى﴿وَسارِعوا إِلى مَغفِرَةٍ مِن رَبِّكُم وَجَنَّةٍ

---

[108] رواه البخاري

[109] رواه أحمد في مسنده

[110] رواه ابو داود في سننه



عَرضُهَا السَّماواتُ وَالأَرضُ أُعِدَّت لِلمُتَّقِينَ﴾[111] وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الْمَعْرُوفَ وَالْمُنْكَرَ خَلِيقَتَانِ يُنْصَبَانِ لِلنَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَمَّا الْمَعْرُوفُ فَيُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ وَيُوعِدُهُمُ الْخَيْرَ، وَأَمَّا الْمُنْكَرُ فَيَقُولُ : إِلَيْكُمْ إِلَيْكُمْ. وَمَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُ إِلَّا لُزُومًا ".[112] وعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ ". فَقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : " يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ، وَيَتَصَدَّقُ ". قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : " يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ ". قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : " فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ ".[113] وقيل لمحمد بن المنكدر : "أي الأعمال أفضل؟ قال أدخال السرور على المؤمن"[114] قال الفضيل بن عياض: "أما علمتم أن حاجة الناس إليكم نعمة من الله عليكم فاحذروا أن تملوا النعم فتصير نقماً"[115]

[111] آل عمران: ١٣٣

[112] رواه أحمد

[113] رواه البخاري

[114] بهجة المجالس

[115] شعب الإيمان

لَا تستشر غير ندب حَازِم يقظ ... قد اسْتَوَى فِيهِ إسرار وإعلان

ـــــــــــــــــــــ

وهنا يبين المصنف رحمه الله أن الإستشارة لا تطلب إلا من "ندب" اي منجد "حازم " اي ضابط للأمور " يقظ" اي نبيه وفطن يُعرف بأمانته ونزاهته وتقواه وورعه واستوى عنده سره وعلانيته قال يحيى بن معاذ:(لا ينصحك من خان نفسه)[116]. وهنا لا بد من وجود طرفين أساسيين الطرف الأول:وهو المتشير الذي عليه ان ينتقي الأصلح للإستشارة والطرف الثاني : وهو الذي يُستشار ويُقصد لطلب المشورة والذي يجب ان يشير بكل صدق وأمانة ودقة حينها تكون الإستشارة في محلها.

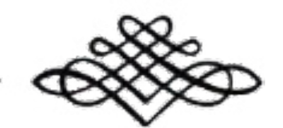
فللتدابير فرسَان إذا ركضوا ... فِيهَا أبروا كَمَا للحرب فرسَان

ـــــــــــــــــــــ

إن لكل أمرٍ أهله وأربابه ولكل ميدان فرسانه فكما أن لميدان الحرب فرسان فإن لميدان التدبير والفِراسة فرسان ايضاً قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:(إن الله عز وجل خلق خلقاً من خلقه فجعلهم للناس وجوهاً وللمعروف أهلاً يفزع الناس إليهم في حوائجهم أولئك الآمنون يوم القيامة)[117] "وكان عمر يستشير في الأمر حتى إن كان ربما إستشار

[116]شعب الإيمان

[117] ثواب قضاء حوائج الإخوان لمحمد النرسي



المرأة فأبصر في رأيها فضلا"[١١٨] وكان علي رضي الله عنه يقول:(رأي الشيخ خير من مشهد الغلام)[١١٩] وقال عبدالملك بن مروان:(لأن اخطئ وقد استشرت أحب إلي من أن أصيب من غير مشورة)[١٢٠] وقال المأمون : (ثلاث لا يعدم المرء الرشد فيهن :مشاورة ناصح ومداراة حاسد والتحبب إلى الناس)[١٢١] وقال الحسن البصري رحمه الله:(والله ما استشار قوم قط إلا هدوا لأفضل ما بحضرتهم)[١٢٢]

وللأمور مَوَاقِيت مقدرَة ... وكل أَمر لَهُ حد وميزان

—————————————

وهنا يشير المصنف رحمه الله إلى أهمية الوقت والنظام وأن يوضع الشيء موضعه فلكل أمر وقت معلوم وقدر محتم وحد معين وموازين دقيقة فزن كل أمر بميزانه فمن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه

---

[١١٨] بهجة المجالس

[١١٩] السنن الكبرى للبيهقي

[١٢٠] بهجة المجالس

[١٢١] بهجة المجالس

[١٢٢] الجامع لعبدالله بن وهب



قال تعالى ﴿إنّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقناهُ بِقَدَرٍ﴾[١٢٣] وقال تعالى ﴿الَّذي لَهُ مُلكُ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَلَم يَتَّخِذ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَهُ شَريكٌ فِي المُلكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقديرًا﴾[١٢٤] فسوّى كل ما خلق، وهيأه لما يصلح له, فلا خلل فيه ولا تفاوت.[١٢٥] فعن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ، قَالَ : سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ :"الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا "[١٢٦].

فَلَا تكن عجلا بِالْأَمر تطلبه ... فَلَيْسَ يحمد قبل النضج بحران

ـــــــــــــــــــــــ

النضج: الاكتمال. والبحران عند الأطباء: التغير الذي يحدث للعليل دفعة واحدة في الأمراض الحادة: إلى الصحة أو إلى المرض، فإن وقع بعد نضج مادة المرض فهو علامة الصحة والشفاء، وإن وقع قبل نضجها فهو علامة الموت والهلاك.

---

[١٢٣] القمر: ٤٩

[١٢٤] الفرقان: ٢

[١٢٥] تفسير الطبري

[١٢٦] رواه البخاري

فعلى العاقل أن لا يعجل في أمره كما قيل:

تأن في الشيء إذا رمته ◆ لتعرف الرشد من الغيِّ
ولا تتبعن كل دخان ترى ◆ فالنار قد توقد للكيِّ

قال نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ : " إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُّ : الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ ".[١٢٧] (الحلم والأناة) رويا مرفوعين ومنصوبين، الحلم: بكسر الحاء تأخير مكافأة الظالم، والمراد به هنا عدم استعجاله وتراخيه حتى ينظر في مصالحه. والأناة: على وزن القناة هو التثبت والوقار. كذا في شرح المشارق لابن الملك.[١٢٨] والخلاصة:عليك بالتأني والصبر وطلب الشيء في وقته المناسب حتى لا تحرم منه.

كفى من الْعَيْش مَا قد سد من عوز ... فَفِيهِ لِلْحرّ إِن حققت غنيان

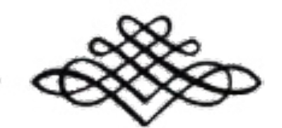
ــــــــــــــــــــــــــــ

يحث المصنف رحمه الله على القناعة بقوله "كفى من الْعَيْش مَا قد سد من عوز" أي أن الرزق القليل ما دام أنه يسد حاجة الإنسان الأساسية "فَفِيهِ لِلْحرّ إِن حققت غنيان " أي فيه للعاقل الراشد الذي يستطيع

---

[١٢٧] رواه مسلم

[١٢٨] عون المعبود شرح سنن أبي داود



التصرف بهذا المال القليل فيسد به حاجته إستغناء عن المسألة وطلب المئونة من الغير وذلك لحسن تدبيره وعدم إسرافه قال صلى الله عليه وسلم:(إِنَّ اللهَّ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا : قِيلَ وَقَالَ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ".)[١٢٩] وقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كُلُوا وَتَصَدَّقُوا ، وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ[١٣٠] ".[١٣١] فالقناعة بالقليل نعمة لا يتصف بها إلا ذو عقل ينظر إلى ما وراء الحياة المادية الفانية وأن كثرة المال ليست إلا ظل زائل.قال تعالى﴿إِنَّ الأَبرارَ لَفي نَعيمٍ﴾[١٣٢]قال الرازي: (قال بعضهم؛ النعيم: القناعة، والجحيم: الطمع)[١٣٣] وقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا ".[١٣٤] قال القرطبي: معنى الحديث أنه طلب الكفاف فإن القوت ما يقوت البدن ويكف عن الحاجة، وفي هذه الحالة سلامة من آفات الغنى والفقر جميعا والله أعلم.[١٣٥] قال

---

١٢٩ رواه البخاري

١٣٠ اي: الكِبْر

١٣١ رواه النسائي في سننه

١٣٢ الانفطار: ١٣

١٣٣ تفسير الرازي "مفاتيح الغيب"

١٣٤ رواه البخاري

١٣٥ فتح الباري



ابن حجر: (أي: اكفهم من القوت بما لا يرهقهم إلى ذلِّ المسألة، ولا يكون فيه فضولٌ تبعث على الترفُّه والتبسُّط في الدنيا. وفيه حجةٌ لمن فضَّل الكفاف؛ لأنَّه إنما يدعو لنفسه وآله بأفضل الأحوال).[١٣٦]

وقال عبد الله بن عباس: (القناعة مال لا نفاد له.)[١٣٧] وقال مالك بن دينار: (أزهد الناس من لا تتجاوز رغبته من الدنيا بلغته).[١٣٨] وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكل ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد.[١٣٩]

وَذُو القناعة رَاض من معيشته ... وَصَاحب الْحِرْص إن أثرى فغضبان

أما قوله "وَذُو القناعة رَاض من معيشته" تكلمنا فيه ما يغني عن الإعادة. وأما قوله "وَصَاحب الْحِرْص إن أثرى فغضبان" وأما صاحب الحرص فبقدر ما أثرى وأصاب من الدنيا تراه منزعج غضبان و(لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا)[١٤٠] والسبب في إنزعاجه هو الجهد العقلي

---

[١٣٦] فتح الباري

[١٣٧] العقد الفريد لابن عبد ربه

[١٣٨] أدب الدنيا والدين

[١٣٩] إحياء علوم الدين

[١٤٠] رواه البخاري



الذي يبذله في التفكير في كيفية جمع المال وكيفية إنفاقه فتراه في غالب أيامه منزعج لخوفه على ماله من الضياع فالحريص اكثر من يشكو من عدم الإرتياح قال صلى الله عليه وسلم:(مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ".)[١٤١] لكنه في يوم من الإيام سيقر ويعترف أن هذا المال الذي جمعه وحرص عليه ما نفعه شيء فيقول ﴿ما أَغنى عَنّي مالِيَه﴾[١٤٢]

حسب الْفَتى عقله خلا يعاشره ... إذا تحاماه إخْوَان وخلان

— — — — — — — — — —

خلاً: صديقاً ناصحاً. والخلان: الأصدقاء.

اي يكفي الفتى إذا كان ذو فطنة وحنكة وخبرة ورشداً أن يتخذ من عقله صديقاً ناصحاً في حال تباعد عنه الأصدقاء والرفقاء فيتخذه مرجعاً للشورى وملجأ يلجأ إليه أمام نوائب الدهر وحوادثه لأنه كما قال الإمام الشافعي رحمه الله :(العاقل من عقله عقله عن كل مذموم).[١٤٣] وقال أبو

---

[١٤١] رواه ابن ماجة في سننه

[١٤٢] الحاقة: ٢٨

[١٤٣] المجموع شرح المهذب



حاتم :(العقل إسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب والعلم باجتناب الخطأ)[144]

وقال ابن حزم :(العاقل لايرى لنفسه ثمناً إلا الجنة)[145]

والخلاصة: أن العقل ليس بالقليل لو انزله الإنسان منزلته من التفكير السليم والفهم الدقيق لذلك حرم الإسلام كل ما يضر به من المسكرات وغيرها.

هما رضيعا لبان حِكْمَة وتقى ... وساكنا وَطن: مَال وطغيان

ـــــــــــــــــــ

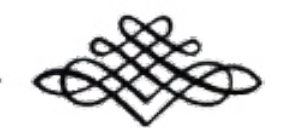
والمعنى أن بين الحكمة والتقوى صلة وثيقة كصلة الإخوة الذين رضعوا من ثدي واحد وذلك لأن الحكمة هي وضع الشيء في محله قال تعالى ﴿يُؤتِي الحِكمَةَ مَن يَشاءُ وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أوتِيَ خَيرًا كَثيرًا وَما يَذَّكَّرُ إِلّا أُولُو الأَلبابِ﴾[146] وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا حَسَدَ[147] إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَآخَرُ

[144] روضة العقلاء

[145] الأخلاق والسير

[146] البقرة: ٢٦٩

[147] المراد الغبطة، وهي أن يتمنى المرء مثل ما لغيره من النعمة من غير أن يتمنى زوالها عنه.



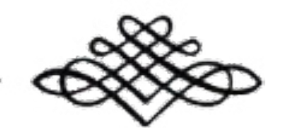
آتَاهُ اللهُّ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا ".[148] والتقوى هي "أن لا يجدك مولاك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك" قال تعالى﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَّ يَجعَل لَهُ مَخرَجًا﴾[149] فالتقي عندما منع نفسه مواطن المعصية وألزمها مواطن الطاعة فقد وضع نفسه في المحل الذي ارتضاه الله له. فإذا فهمت هذا عرفت الصلة بينهما كذلك عرفت الثدي الذي يرضعان منه ألا وهو خشية الله فمن خشي الله اتقاه ووضع نفسه في المحل الذي يحبه تعالى ويرضاه . وأما المال والطغيان فهما متلازمان كتلازم من يعيش في وطن واحد لكن احدهما أصل للآخر والثاني فرع عنه فأما الأصل فهو المال وأما الفرع فهو الطغيان فمن كان عنده مال طغى وتجبر وتكبر لتوفر مادة الطغيان عنده وهي المال وأما الفقير فكيف له أن يتجبر وبأي شيء يتكبر. قال تعالى :﴿أَن رَآهُ استَغنى﴾[150] يقول : إن الإنسان ليتجاوز حده ، ويستكبر على ربه فيكفر به ؛ لأن رأى نفسه استغنت [151].

[148] رواه أحمد في مسنده

[149] الطلاق: ٢

[150] العلق: ٧

[151] تفسير الطبري



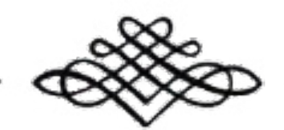
إذا نبا بكريم موطن فَلَهُ ... وَرَاءه فِي بسيط الأَرْض أوطان

ــــــــــــــــــــــــــــ

إعلموا رعاكم الله أن الإسلام هو الوطن فأينما وجد الإسلام وجد الوطن وأينما عدم الإسلام فلا وطن. ولكن سنة الله في خلقه أن جعل كل مجموعة أو قبيلة تستوطن في موطنٍ معين فتعمره بالبناء والعمران والزراعة وغيرها. والمعنى من قول المصنف رحمه الله "إذا نبا بكريم موطن فَلَهُ" إذا ضاق بهذا الإنسان الكريم موطنه وجفاه ولم يسر به وكان الوطن غير صالح للعيش بكرامة وإقامة شرع الله تعالى "فوَرَاءه فِي بسيط الأَرْض أوطان" أي أن أرض الله واسعة فليهاجر إن استطاع إلى وطن يمارس فيه عمل الخير مع إخوانه من المسلمين كما يحب الباري جل وعلا ولا يقدم الديار والأوطان على حساب دينه وعقيدته قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذينَ تَوَفّاهُمُ المَلائِكَةُ ظالِمي أَنفُسِهِم قالوا فيمَ كُنتُم قالوا كُنّا مُستَضعَفينَ فِي الأَرضِ قالوا أَلَم تَكُن أَرضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِروا فيها فَأُولئِكَ مَأواهُم جَهَنَّمُ وَساءَت مَصيرًا﴾[١٥٢] يقول: قالت الملائكة لهم: " فيم كنتم " ، في أيِّ شيء كنتم من دينكم " قالوا كنا مستضعفين في الأرض " ، يعني: قال الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم: " كنا

---

[١٥٢] النساء: ٩٧



مستضعفين في الأرض " ، يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم، فيمنعونا من الإيمان بالله، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، معذرةٌ ضعيفةٌ وحُجَّة واهية " قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها " ، يقول: فتخرجوا من أرضكم ودوركم، وتفارقوا من يمنعكم بها من الإيمان بالله واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، إلى الأرض التي يمنعكم أهلها من سلطان أهل الشرك بالله، فتوحِّدوا الله فيها وتعبدوه، وتتبعوا نبيَّه؟[١٥٣] و عن عطاء في قوله: (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ) قال: إذا دعيتم إلى المعصية فاهربوا، ثم قرأ: (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) [النساء:97] . [١٥٤] وقال تعالى ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[١٥٥] فقوله(مُرَاغَمًا كَثِيرًا)والظاهر -والله أعلم-أنه التمنّع الذي يُتَحصَّن به، ويراغم به الأعداء. وقوله: (وَسَعَةً) يعني: الرزق. [١٥٦]

---

[١٥٣] تفسير الطبري

[١٥٤] تفسير ابن كثير

[١٥٥] النساء: ١٠٠

[١٥٦] تفسير ابن كثير



يَا ظَالِمًا فَرحا بالعز ساعده ... إن كنت فِي سنة فالدهر يقظان

— — — — — — — — — — — — —

العز هنا: السطوة والسلطان. السِّنة: الغفلة الخفيفة.

أي يا من ظلمت الناس واعتديت عليهم مغتراً بسطوتك وقوتك فكر قليلاً بمن كان قبلك من الجبابرة الطغاة أين صاروا؟ فأين فرعون الذي إدعى الربوبية فكان جزائه ﴿فَأَخَذناهُ وَجُنودَهُ فَنَبَذناهُم فِي اليَمِّ وَهُوَ مُليمٌ﴾[157] وأين قارون الذي قال الله فيه﴿ وَآتَيناهُ مِنَ الكُنوزِ ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنوءُ بِالعُصبَةِ أُولِي القُوَّةِ﴾[158] قال الأعمش، عن خَيْثَمَةَ: كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود، كل مفتاح مثل الأصبع، كل مفتاح على خزانة على حدته، فإذا ركب حُملت على ستين بغلا أغر محجلا. وقيل: غير ذلك، والله أعلم.[159] فكيف كانت نهايته قال تعالى ﴿فَخَسَفنا بِهِ وَبِدارِهِ الأَرضَ﴾[160] وأين قوم عاد قال تعالى ﴿فَأَمّا عادٌ فَاستَكبَروا فِي الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ وَقالوا مَن أَشَدُّ مِنّا قُوَّةً أَوَلَم يَرَوا أَنَّ اللَّهَ الَّذي خَلَقَهُم هُوَ أَشَدُّ مِنهُم قُوَّةً

[157] الذاريات: ٤٠

[158] القصص: ٧٦

[159] تفسير ابن كثير

[160] القصص: ٨١



وَكانوا بِآياتِنا يَجحَدونَ﴾[161] فأهلكهم الله بابسط مخلوق وهو الهواء قال تعالى ﴿سَخَّرَها عَلَيهِم سَبعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أَيّامٍ حُسومًا فَتَرَى القَومَ فيها صَرعى كَأَنَّهُم أَعجازُ نَخلٍ خاوِيَةٍ﴾[162] فهل الذي أهلك فرعون وقارون وعاد وثمود يعجزه أن يهلك من هو دون هؤلاء؟. وإن غفلت عن هذا كله فإن الجبار جل جلاله لم ولن يغفل عنك فإنه يمهل ولكن لا يهمل.

مَا استمرأ الظُّلم لَو أنصفت آكله ... وَهل يلذ مذاق الْمَرْء خطبان

استمرأ الشيء: استطابه. والخُطْبان: الحنظل حين يأخذ في الاصفرار وتشتد مرارته.
والمعنى أنك أيها الظالم لو أنصفت لأدركت أن الظلم مر المذاق كالحنظل تأنفه الطباع البشرية السليمة والنفوس الأبية وكيف يستلذ مذاق المرء بمرارة الحنظل. قال تعالى﴿إِنَّمَا السَّبيلُ عَلَى الَّذينَ يَظلِمونَ النّاسَ وَيَبغونَ فِي الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ أُولئِكَ لَهُم عَذابٌ أَليمٌ﴾[163]

---

[161] فصلت: ١٥

[162] الحاقة: ٧

[163] الشورى: ٤٢



وقوله: (إِنَّمَا السَّبِيلُ) أي: إنما الحرج والعنت (عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) أي: يبدؤون الناس بالظلم. كما جاء في الحديث الصحيح: "المستبان[١٦٤] ما قالا فعلى البادئ ما لم يَعْتَد المظلوم".[١٦٥] معناه : أن إثم السباب الواقع من اثنين مختص بالبادئ منهما كله إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار ، فيقول للبادئ أكثر مما قال له.[١٦٦]

(أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أي: شديد موجع. [١٦٧]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".[١٦٨] قال القاضي : قيل : هو على ظاهره ، فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة سبيلا حتى يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم ، ويحتمل أن الظلمات هنا الشدائد ، وبه فسروا قوله تعالى : { قل من ينجيكم من ظلمات البر

---

[١٦٤] (المستبان) المتشاتمان اللذان يسب كل منهما الآخر.

[١٦٥] رواه مسلم

[١٦٦] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج

[١٦٧] تفسير ابن كثير

[١٦٨] رواه البخاري



والبحر } أي : شدائدهما ، ويحتمل أنها عبارة عن الأنكال والعقوبات .[169]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ : " اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ؛ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ ".[170]

يَا أَيهَا الْعَالم المرضي سيرته ... أبشر فَأَنت بِغَيْر المَاء رَيَّان

———————————

ريّان: مُرْتَوٍ. وأصل الارتواء الشبع من الماء. والمراد هنا: الطمأنينة وغنى النفس والقناعة والرضا.

والمعنى يا ايها العالم الذي عمل بعلمه ونفع به الخلق وارتضى الناس سيرته لإخلاصه وورعه وزهده وتعليمه للناس ورد الشبه عنهم ابشر فأنت بما أنعم الله عليك قرير العين مطمئن النفس. قال تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا

[169] المنهاج شرح صحيح مسلم

[170] رواه البخاري



إلـهَ إلّا هُـوَ وَالمَـلائِـكَةُ وَأُولُـو الـعِلمِ قـائِـمًا بِـالقِسـطِ لا إلـهَ إلّا هُـوَ الـعَزيـزُ الحَكيمُ﴾[171] وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام.[172]
وقال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى -كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر.
قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) قال: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير.[173] ويكفي أهل العلم شرفاً قَوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ، وَمَلَائِكَتَهُ، وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرَضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ ؛لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ".[174]

[171] آل عمران: ١٨

[172] تفسير ابن كثير

[173] تفسير ابن كثير

[174] رواه الترمذي في سننه

وَيَا أَخا الْجَهْل لَو أَصبَحت فِي لجج ... فَأَنت مَا بَينهَا لَا شكّ ظمان

ـــــــــــــــــــــ

اللُّجَج جمع لجة، وهي معظم الماء, وظمآن: عطشان.

وبعد أن ذكر العالم اتبعه بذكر الجاهل بقوله "وَيَا أَخا الْجَهْل لَو أَصبَحت فِي لجج" والمعنى أن الجاهل وأن غمرته الدنيا بخيراتها فصار يتقلب في نعيمها وملذاتها فإنه في الحقيقة محروم لأنه لم يغذي عقله وقلبه بالعلم. قال تعالى ﴿ وَمَن لَم يَجعَلِ اللهُّ لَهُ نورًا فَما لَهُ مِن نورٍ﴾[١٧٥] فمن لم ينور الله قلبه بالعلم والهداية فما له من نور يزيل عنه جهله وضلالته.

لَا تحسبن سُرُورًا دَائِما أبدا ... من سره زمن ساءته أزمان

ـــــــــــــــــــــ

أي لا تظن أن الحياة كأنها الجنة التي ﴿لا تَسمَعُ فيها لاغِيَةً﴾[١٧٦] و﴿لا يَمَسُّهُم فيها نَصَبٌ وَما هُم مِنها بِمُخرَجينَ﴾[١٧٧] وإنما فيها الشقاء والسعادة والتعب والراحة والسلم والحرب والهدوء والسكينة والضوضاء واللغو قال تعالى ﴿وَتِلكَ الأَيّامُ نُداوِلُها بَينَ النّاسِ وَلِيَعلَمَ اللهُّ الَّذينَ آمَنوا

---

[١٧٥] النور: ٤٠

[١٧٦] الغاشية: ١١

[١٧٧] الحجر: ٤٨



وَيَتَّخِذَ مِنكُم شُهَداءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمينَ﴾[١٧٨] فيوم لك ويوم عليك ومن سره زمن ساءته أزمان.

إذا جفاك خَلِيل كنت تألفه ... فاطلب سواهُ فَكل النَّاس إخْوَان

ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ

وإذا تخلى عنك من كان لك خلاً وصاحباً فابحث عن غيره ظمن قوله صلى الله عليه وسلم :(الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ".)[١٧٩]. "فكل الناس إخوة" وهذه فيها توسع والمقصود إخوة الدين قال تعالى﴿إِنَّمَا المُؤمِنونَ إِخوَةٌ﴾[١٨٠] وذلك لأن الإنسان ذو طبيعة إجتماعية يحتاج للتواصل والتزاور والصحبة.

[١٧٨] آل عمران: ١٤٠

[١٧٩] رواه أبو داود في سننه

[١٨٠] الحجرات: ١٠



وَإن نبت بك أوطان نشأت بهَا ... فارحل فَكل بِلَاد الله أوطان

ـــــــــــــــــــــــــــــ

وهذا نظير قوله "إذا نبا بكريم موطن فَلهُ ... وَرَاءه فِي بسيط الأَرْض أوطان" اي على الإنسان ان لا يضيق على نفسه فأرض الله واسعة لعله يجد فيها اصحاب خيرٍ وصلاح وسعة في الرزق.

يَا رافلا فِي الشَّبَاب الرحب منتشيا ... من كأسه هَل أصَاب الرشد نشوان

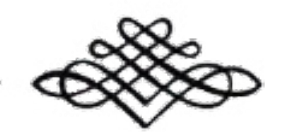
ـــــــــــــــــــــــــــــ

رافل: مختال متبختر.معناه هنا: معجب مُدِلٌّ بحيويته وفتوته. نشوان: سكران.

والمعنى: أيها الشاب المغتر المعجب بشبابه وقوته ، لا تغتر بما أنت عليه ،فالشباب عرض زائل، وعارية مسترجعة والانتشاء به حاجب للعقل عن الهداية والرشاد، بل الواجب عليه أن يستغل هذه المرحلة من حياته وهو في أوج قوته ونشاطه في طاعة الله وطلب العلم وغيرها من اعمال البر قال صلى الله عليه وسلم :(اغتنم خمساً قبل خمس ذكر منها: شبابك قبل هرمك)[١٨١] فإذا لم تفعل فأنت كالذي ينتشي بشرب خمر وهل

---

[١٨١] شعب الإيمان



أدرك الرشد سكران؟ قال الإمام أحمد رضي الله عنه :ما شبهت الشباب إلا بشيء كان في كُمّي فسقط![١٨٢]

لَا تغترر بشباب رائق نضر ... فكم تقدم قبل الشيب شُبَّان

— — — — — — — — — —

فلا تنخدع بشبابك وفتوتك وقوتك ونشاطك فإنها سرعان ما ستزول وتصبح مجرد ذكريات عالقة في ذهنك وانظر إلى كبار السن الذين انحنت ظهورهم وجعلوا من العصي متكأ لهم فهؤلاء كلهم كانوا مثلك في الشباب والنشاط والقوة لكن أين هي الأن؟ ذهبت ولن تعود فكم تقدم قبل الشيب شُبَّان أي كم من كبير في السن كان في الماضي شاباً يافعاً فاعتبر وتزود:

فالموت يأتي بغتةً والقبر صندوق العمل[١٨٣]

---

[١٨٢] كتاب قيمة الزمن عند العلماء لعبد الفتاح أبو غدة

[١٨٣] من شعر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه



وَيَا أَخا الشيب لَو ناصحت نَفسك لم ... يكن لمثلك فِي اللَّذَّات إمعان

ــــــــــــــــــــــــــ

وهنا يخاطب المصنف رحمه الله من شاب شعره وانحنى ظهره بقوله وَيَا أَخا الشيب لَو ناصحت نَفسك لم ... يكن لمثلك فِي اللَّذَّات إمعان أي لو نظرت إلى نفسك كيف اصبحت وكيف ذهب عمرك وما بقي منه ألا القليل لما كان لمثلك نصيب في الملذات والشهوات.

هَب الشبيبة تبدي عذر صَاحبهَا ... مَا عذر أشيب يستهويه شَيْطَان

ــــــــــــــــــــــــــ

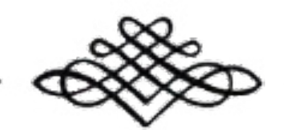
فالشاب قد يعذر إذ هو في قمة نشاطه وشهوته واندفاعه إلخ... ولكن ما عذرك انت يامن اصبحت عجوزاً هرماً وانت غارق في المنكرات لذلك قال صلى الله عليه وسلم:أَرْبَعَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ذكر منهم (الشَّيْخُ الزَّانِي)[١٨٤]

كل الذُّنُوب فَإِن الله يغفرها ... إِن شيع الْمَرْء إخلاص وإيمان

ــــــــــــــــــــــــــ

وهنا يبين المصنف رحمه الله عِظم الإخلاص والإيمان فإن المرء مهما عمل من ذنوب ومعاصي وأسرف على نفسه فإن رحمة الله شاملة له إن شيعه

[١٨٤] رواه مسلم



اي صَاحَبَهُ الإخلاص والإيمان قال تعالى﴿إِنَّ اللهَّ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ وَمَن يُشرِك بِاللهَّ فَقَد ضَلَّ ضَلالًا بَعيدًا﴾[185]وقال﴿وَالَّذينَ إِذا فَعَلوا فاحِشَةً أَو ظَلَموا أَنفُسَهُم ذَكَرُوا اللهَّ فَاستَغفَروا لِذُنوبِهِم وَمَن يَغفِرُ الذُّنوبَ إِلَّا اللهُّ وَلَم يُصِرّوا عَلى ما فَعَلوا وَهُم يَعلَمونَ﴾[186] وقال﴿وَاللهُّ يُريدُ أَن يَتوبَ عَلَيكُم﴾[187] وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللهُّ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ ".[188]

وكل كسر فَإِن الدّين يجْبرهُ ... وَمَا لكسر قناة الدّين جبران

— — — — — — — — — —

القناة: الرمح. والمراد بكسر قناة الدين: ذهاب الدين وفقده.

والمعنى أن كل ما يصاب به العبد من مصائب في ماله وولده ونفسه إن كان صاحب دين وسنة فإن إيمانه بالله وقدره يحفف عنه ما يجد ويجبر هذا الكسر قال تعالى ﴿الَّذينَ إِذا أَصابَتهُم مُصيبَةٌ قالوا إِنّا لِلهِّ وَإِنّا إِلَيهِ

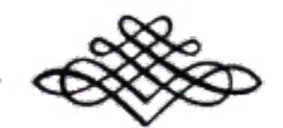
---

[185] النساء: ١١٦

[186] آل عمران: ١٣٥

[187] النساء: ٢٧

[188] رواه البخاري



راجِعونَ﴾[189] فتنقلب عنده المصيبة إلى نعمة زيادة على ما يحصله من الثواب لذلك قال تعالى بعدها ﴿أُولئِكَ عَلَيهِم صَلَواتٌ مِن رَبِّهِم وَرَحمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ المُهتَدونَ﴾[190] وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا ".[191]

قال إبراهيم المغربي :(لولا مصائب الدنيا لوردنا الآخرة مفاليس)[192]

خُذْهَا سوائر أَمْثَال مهذبة ... فِيهَا لمن يَبْتَغِي التِّبْيَان تبيان

— — — — — — — — — — —

أي خذ هذه الأبيات العظيمة النافعة التي صيغت بإسلوب سلس واضح بليغ والتي اجتمع فيها لمن يبتغي التبيان حكم عظيمة ومعارف قيمة.

ماضرّ حسانها والطبع صائغها ... أَن لم يصغها قريع الشّعْر حسان

— — — — — — — — — — —

حسانها: قائلها وناظمها. قريع الشعر، يعني به سيد الشعر: الصحابي الجليل حسان ابن ثابت الأنصاري رضي الله عنه والمعنى: أن هذه

---

[189] البقرة: ١٥٦

[190] البقرة: ١٥٧

[191] رواه البخاري

[192] حلية الأولياء



القصيدة التي تنوعت فوائدها وسمت معانيها والتي نبعت من قريحة شاعر مطبوع، وفاضت بالمعاني الجميلة وروائع الألفاظ، وتضمنت الحكم والمواعظ ، لا يقلل من روعتها وجمالها أن قائلها شاعر محدث، وليس الصحابي الجليل سيد الشعر حسان بن ثابت رضي الله عنه.

تم الإنتهاء من شرح نونية الإمام البستي يوم

الخميس ١٥ ربيع الأول سنة ١٤٤٣هـ

الموافق ٢١ تشرين الأول سنة ٢٠٢١م

أبوبكر عبدالله بن علي